من له آذان فليسمع

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

نداء استغاثة جديد وعاجل أطلقه مزارعو الجنوب اللبناني (١٩٩٩/١٠/٧) في سلسلة نداءاتهم منذ بداية هذه السنة في سياق سعيهم الدؤوب والجريء للفت المسؤولين إلى خطورة معاناتهم التي هي بالواقع معاناة كل لبناني شريف. النداء يقول: "ارحمونا، أوقفوا تهريب المنتجات الزراعية عبر الحدود البرية مع سورية وكلفوا الجيش اللبناني مهمة حراسة الحدود".

غير أن هذا النداء الصادق المحق كباقي مئات صرخات الاستغاثة الأخرى التي أطلقها وما زال يطلقها الصناعيون والمهنيون والعمال وسائقي السيارات العمومية والشاحنات وأصحاب مزارع تربية المواشي والدجاج والرعاة وعمال البناء وغيرهم الكثير وقعت على آذان صماء واصطدمت بضمائر وعقول عفنة، متحجرة مبرمجة على الانصياع والتزلم للقوى الغريبة التي ولتها حكم لبنان ضد إرادة شعبه العظيم.

في بيانه اللإستغاثي رأي تجمع مزارعي الجنوب أن الرزنامة الزراعية المتعلقة بمعاهدة تيسير تبادل السلع بين الدول العربية مجحفة في حق عدد من الزراعات اللبنانية، لا سيما لجهة استثناء الحمضيات والموز من السلع العشرة الأساسية، كما أن فترة البطاطا المحددة غير كافية لحمايتها، وإنتاج الأجاص لا يتناسب والتوقيت المحدد في الرز نامة، ولفت البيان إلى أن هناك صعوبات كبيرة تحول دون تصدير الموز اللبناني إلى سوريا رغم أن المزارعين أقبلوا على زراعة الموز لتغطية سوق لبنان وأيضاً سوريا التي لا يتلاءم مناخها مع هذه الزراعة وخصوصاً أن معاهدة الأخوة والتنسيق بين لبنان وسوريا نصت على التكامل الاقتصادي بين البلدين. وأبدى التجمع خشيته من عمليات التهريب عبر الحدود البرية مع سوريا والتي تطاول إنتاج كل المزروعات من دون تمييز (جريدة النهار، الخميس ٧ تشرين الأول ١٩٩٩) وقال: "إنه لأمر معيب جداً في هذا العهد بالذات أن تبقى الحدود مفتوحة على مصراعيها للمهربين ومن خلفهم"، هذا وطالب التجمع بتكليف الجيش اللبناني وليس سواه حماية الحدود اللبنانية السورية التي يبلغ طولها ١٥٠ كيلومتراً ولا تحتاج لحمايتها أكثر من ألف جندي وحذر من أن انهيار الاقتصاد يؤدي إلى انهيار الوطن.

إن صرخة مزارعي الجنوب هذه هي بالواقع صرخة كل اللبنانيين وفي كافة القطاعات العمالية والصناعية وفي مقدمهم مزارعو الشمال والبقاع والجبل وباقي المناطق. إنها صرخة وطنية شجاعة محقة تعبر عن معاناة لم تعد تطاق وعن وضع اقتصادي منهار وصل

إلى قعر الهاوية وبات ينذر بكارثة معيشة لن توفر لبناني واحد. إن الصرخة المحقة هـــذه يجب أن تؤخذ على محمل من الجد لأنها نذير بانهيار مقومات الوطن اللبناني الذي ارتبـــط مصير صمود أهله طوال ٦٠٠٠ سنة بأرضهم وبمزروعاتهم التي حمتهم من الجوع والعوز وشكلت السد المنيع في وجه أطماع الغزاة والمارقين والمحتلين.

إنه من واجب كل لبناني مؤمن بلبنانيته ومحب لبلده ويسعى لتقوية صمود أهله في أرضهم وقراهم في وجه الهجمة البربرية على تاريخهم وهويتهم وثقافتهم كرامتهم، من واجبـــه أن يكون الضمير والصدى لنداءات الاستغاثة التي صدرت وتصدر باســـتمرار عـــن مزارعيـــن وعمال وصناعيين ومهنيين وموطنين عاديين. إنه من واجب كل لبناني مخلـــص أن ينقـــل واقع معاناة أهله في الوطن المحتل بأمانة إلى كافة منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان ودول العالم الحر، وإلى كل مرجع ديني وثقافي وسياسي واجتماعي في كافة بلاد الانتشار.

إن صوت أهلنا الأحرار في لبنان المحتل مخنوق، وسهام الاحتلال المســـمة مصوبـــة إلـــى صدورهم، وفؤوس الحقد والجهل تهدد أعناقهم، والفقر يقض مضاجعهم بقصـــد إرهابـــهم وتركيعهم ودفعهم بالقوة للانسلاخ عن أرضهم والهجرة. أنه من واجب الاغتراب اللبناني أن يكون صوت أهله في الوطن المحتل، صوتهم الصارخ المنادي بالعدل والتحـــرر والكرامـــة تماما كصوت القديس يوحنا في البرية.

إن قوى الاحتلال العدوة والشقيقة على حد سواء وبالتعاون التام فيما بينها تسعى إلى اقتلاع جذورنا من تربتنا المقدسة المجبولة بدم وعرق أجدادنا وشهدائنا الأبرار ضمـــن مخططـــها الهدام لدفعنا إلى الهجرة واحلال الغرباء مكاننا. إن هذه القوى عينها تدمر حقولنا ومزارعنا وتحول أرضنا المعطاة الخصبة إلى أرض قاحلة، وهي التي تحرق غاباتنا ومزروعاتنا، وهي التي تدمر جبالنا عن طريق المقالع والمرامل، وهي التي تلوث بيئتنا الطبيعية، وهي التـــي تسرق مياهنا وتشرد أهلنا وتضطهد أحرارنا، وهي التي تغرق أسواقنا بالمنتجات المهربـــة عن طرق حدودها لإقفال مصانعنا وتشريد عمالنا وتركيعنا للقبول بالأمر الواقع الاحتلالـــي المفروض على وطننا وأهلنا، واقع الاحتلال والتبعية والارتهان.

من له آذان فليسمع، ومن توهم أن العوسج قد يثمر تفاحا والشوك عنبا عليه أن يســـتفيق من أوهامه، ومن يعاند ويدعي زورا أن لبنان بلد مستقل وحكمه منتخب من قبـــل الشـــعب فليسمع استغاثات أهله ويتابع مجريات الأحداث في وطنه المعذب ويخرج من قوقعته وسجنه الفكري ويحكم ضميره.

عشتم وعاش لبنان الحر السيد المستقل.